

التبيان في تفسير القرآن

(173) لما اخبر الله تعالى أن الظالمين انفسهم بارتكاب المعاصي وترك الواجبات في عذاب مقيم دائم غير منقطع، اخبر في الآية التي بعدها انهم لم يكن لهم أولياء في ما عبدوه من دون الله، ولا فيمن أطاعوه في معصية الله، أي انصار ينصرونهم من دون الله ويرفعون عنهم عقابه. وقيل: المراد من يعبدونه من دون الله او يطيعونه في معصية الله لا ينفعهم يوم القيامة. فالفائدة بذلك اليأس من أي فرج إلا من قبل الله، فلهذا من كان هلاكه بكفره لم يكن له ناصر يمنع منه. ثم قال (ومن يضل الله) أي من أضله الله عن طريق الجنة وعدل به إلى النار (فما له من سبيل) يوصله إلى الجنة والثواب. ويحتمل ان يكون المراد ومن يحكم الله بضلاله ويسميه ضالا لم يكن لاحد سبيل إلى ان يحكم بهدايته. ثم قال تعالى لخلقه (استجبوا لربكم) يعني اجيبوه إلى ما دعاكم إليه ورغبكم فيه من المصير إلى طاعته والانقياد لامره (من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله) مالكم من ملجأ يومئذ) أي لا مرجع له بعد ما حكم به. وقيل معناه لا يتهاى لاحد رده ولا يكون لكم ملجأ تلجؤون إليه في ذلك اليوم. والملجأ والمحزر نظائر (ومالكم من نكير) أي تعبير انكار. وقيل: معناه من نصير ينكر ما يحل بكم ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) (فان اعرضوا) يعني هؤلاء الكفار وعدلوا عما دعوناهم إليه ولا يستجيبون إليه (فما ارسلناك عليهم حفيظا) أي حافظا تمنعهم من الكفر (إن عليك أي ليس عليك (إلا البلاغ) وهو ايصال المعنى إلى افهامهم وتبين لهم ما فيه رشدهم، فالذي يلزم الرسول دعاؤهم إلى الحق، ولا يلزمه ان يحفظهم من اعتقاد خلاف الحق. ثم اخبر تعالى عن حال الانسان وسرعة تنقله من حال إلى حال فقال (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) واصلنا إليه نعمة (فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم) أي عقوبة جزاء بما قدمته أيديهم من المعاصي (فان الانسان كفور) يعدد المصائب